

Bible Study

The Epistle of St. Paul to the Romans

رسالة معلمنا بولس الرسول إلي أهل رومية

Fr. Jacob Nadian
St. Bishoy Coptic Orthodox Church

الرسالة إلى أهل رومية

الإصحاح التاسع: الله يقاوم معانديك

يشرح القديس بولس بعض النقاط الهامة في الإصحاحات التالية:

1. محبة الله المعلنة خلال مواعيده، واختياره لشعبه، لكن ليس لكل الإسرائيليين حسب الجسد، إنما لكل من يقبل البنوّة له بالإيمان.

2. قسوة الإنسان الذي يقابل حب الله بالعصيان والجحود، وقد كان الثمر هو رفض إسرائيل الجاحد.

3. البركة الشاملة، فإن الرفض يبقى جزئياً إذ يشترقي الله أن يضم الكل له خلال الإيمان العام لكل الأمم والشعوب بما فيهم اليهود حين يقبلون ذلك الذي جحدوه.

4. لم ينكر اختيار إسرائيل كشعب الله، إنما أكد أنه لا يقوم على امتياز فيهم أو عن استحقاق خاص بهم، إنما عن محبة الله الذي "يرحم من يشاء". خلال هذا الفهم أعلن الله حبه للأمم فاخترهم هم أيضاً.

الرسالة إلى أهل رومية

"أقول الصدق في المسيح، لا أكذب وضميري شاهد لي بالروح القدس. أن لي حزناً عظيماً ووجعاً في قلبي لا ينقطع. فإني كنت أودّ لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل إخوتي أنسباني حسب الجسد" [1 - 3]

- يوضح القديس بولس بقوة أن إيمانه بالسيد المسيح يلهب بالأكثر قلبه بالحب نحو بني جنسه، ويتسع قلبه لاحتوائهم في الإيمان حتى ولو كان قبولهم يلتزم حرمانه هو.

- هنا يتمثل بموسى حين أعلن محبته لشعب الله، إذ يصرخ: "والآن إن غفرت خطيتهم وإلا فامحني من كتابك الذي كتبتَه" (خروج 32: 32).

- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أن هذه الصلاة كانت أثنى ما قدّمه موسى النبي إذ يظهر خلالها أكثر بهاءً منه وهو يتمّ المعجزات، لأن الحب أعظم من عمل الآيات. هكذا لا يلوم أحد القديس بولس في كلماته هذه، إذ يراه يحقق الوصية الإنجيلية: "بهذا قد عرفنا المحبة أن ذاك وضع نفسه لأجلنا، فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة" (1 يوحنا 3: 16).

الرسال إلى أهل رومية

"الذين هم إسرائيليون، ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراك والعبادة والمواعيد، ولهم الآباء، ومنهم المسيح حسب الجسد، الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد. آمين" [4 - 5]

- أنه لا يتحدث كغريب عنهم، أو عدو يقاومهم، إنما يدعوهم "أنسباني حسب الجسد" [3]، أي إخوتي خلال رابطة الدم، إذ صار له إخوة أيضاً جدد خلال رابطة الإيمان الجديد والروح، فهو يُحدّث إخوته المحبوبين إليه.

- ولا يتجاهل امتيازاتهم بل يقول: أنا أعلم أنكم إخوتي شعب الله الذي ميّزكم الله بميزات دون سواكم، ولكن هذه الميزات كلها تكمل في شعب الله الجديد.

الرسالة إلى أهل رومية

- هم إسرائيليون: فقد نال يعقوب لقب إسرائيل بأمر إلهي:
"جاهدت مع الله (إسرائيل) والناس وقدرت" (تكوين 32: 28)
- ولهم التَّبَيُّ: بمعنى أن الله اشتاق أن يتبناهم له ليكونوا كأهل بيته وخاصته؛ فعندما دعا الله موسى للعمل وسط شعبه قال له:
"فتقول لفرعون: هكذا يقول الرب، إسرائيل ابني البكر. فقلت لك أطلق ابني ليعبدي فأبيت أن تطلقه، ها أنا أقتل ابنك البكر"
(خروج 4: 22 - 23)
- وعندما قدّم الله لشعبه وصايا تميّزهم عن الوثنيين، قال:
"أنتم أولاد الرب إلهكم" (تثنية 14: 1)
- وحين أعلن الله خلاصه لهم عند رجوعهم إليه، قال:
"لأني صرت لإسرائيل أباً وافرأيم هو بكري" (ارميا 31: 9)

الرسالة إلى أهل رومية

- لكن إسرائيل لم يستطع أن يمارس البنوة لله بل مارس العصيان:
"اسمعي أيتها السماوات واصغي أيتها الأرض لأن الرب يتكلم. رببت بنين ونشأتهم، أما هم فعصوا عليّ" (أشعيا 1: 2)
- غير مقدم لله كرامة الأبوة:
"الابن يكرم أباه والعبد يكرم سيده. فان كنت انا أباً فأين كرامتي؟ وإن كنت سيّداً، فأين هيّبي؟" (ملاخي 1: 6)
- لذا احتاج إلى تغيير شامل لقلبه وطبيعته بسكنى روح التَّبَيُّ فيه، فيمارس بنوته لله، ويحق له التمتع بالميراث مع السيد المسيح الابن:
"لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله، إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التَّبَيُّ الذي به نصرخ يا أباً الأب؛ الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، وورثة الله، ووارثون مع المسيح" (رومية 8: 14 - 17)

الرسالة إلى أهل رومية

- **لهم المجد:** وكان علامته ظهور عمود السحاب والنار في البرية وأيضاً في الخيمة والهيكل، إذ قيل:

"ثم غطت السحابة خيمة الاجتماع وملاً بهاء الرب المسكن"

(خروج 40: 34)

- وكان وجود تابوت العهد علامة وجود المجد الإلهي، لذلك عندما سمعت امرأة فينحاس باستيلاء الفلسطينيين عليه قالت:

"زال المجد من إسرائيل، لأن التابوت قد أخذ"

(1 صموئيل 4: 21)

- أمّا بالنسبة لإسرائيل الجديد فصار "السيد المسيح" نفسه هو مجده، يسكن وسط شعبه ويحل في قلوبهم، ويملأهم بروحه القدس.

الرسالة إلى أهل رومية

- **لهم العهود:** إذ أراد الله أن يرفع مؤمنيه دخل معهم في عهود مستمرة ليقيم منهم شعباً له، لكن هذا الشعب لم يلتزم بالعهود بل تجاوزها:

"قد تجاوزوا عهدي و تعدوا على شريعتي" (هوشع 8: 1)

- ونقضوها:

"إذ ازدرى القسم لنقض العهد" (حزقيال 17: 18)

- وحُسب حائناً للعهد وخائناً له، لذا صار المؤمنون في حاجة إلى الالتقاء مع الله على مستوى عهد جديد، لا ليُنقش على حجارة كما في العهد القديم، وإنما داخل القلب بالروح القدس، يُعلن حب الله الباذل خلال دم ابن الله المبذول على الصليب (عبرانيين 12: 24).

الرسالة إلى أهل رومية

- لهم الاشتراع: إذ امتازوا بنوال الشريعة، لكنهم لم يحفظوها في حياتهم العملية، بل حُسبوا كاسرين لها.
- لهم العبادة: وقد جاءت الشريعة تقدّم الكثير من الطقوس الخاصة بالعبادة، كانت في الحقيقة ظلّاً للعبادة الروحية.
- لهم المواعيد: خاصة المواعيد التي تتنبأ عن مجيء المسيح، هذه التي اهتم الأنبياء بإعلانها.
- لهم الآباء: إذ جاءوا من نسل الآباء البطارقة إبراهيم وإسحق ويعقوب.
- منهم المسيح حسب الجسد: يكفيهم فخراً أن السيد المسيح، كلمة الله، الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد قد جاء متجسداً منهم.

الرسالة إلى أهل رومية

"ولكن ليس هكذا حتى أن كلمة الله قد سقطت، لأن ليس جميع الذين

من إسرائيل هم إسرائيليون" [6]

- "ولكن ليس هكذا حتى أن كلمة الله قد سقطت" تعني أن وعد الله الذي قدّمه لإبراهيم "أعطيك الأرض ولنسلك" لا يسقط.
- يؤكّد القديس بولس إيمانه بكلمة الله أنها لن تسقط، ومواعيده لإبراهيم أب الآباء باقية، لكنه يرفض تفسيرهم للانتساب لإسرائيل، فإنه ليس كل إنسان من شعب إسرائيل إسرائيلياً بحق، أي ليس الكل أعضاء في شعب الله، وكما سبق فقال:

"لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهودياً ولا الختان في الظاهر في اللحم ختانياً. بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان الذي مدحه ليس من الناس بل من الله"

(رومية 2: 28 - 29)

الرسالة إلى أهل رومية

"ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد، بل بإسحق يُدعى لك نسل. أي ليس أولاد الجسد هم أولاد الله، بل أولاد الموعد يُحسبون نسلًا. لأن كلمة الموعد هي هذه: أنا آتي نحو هذا الوقت ويكون لسارة ابن. وليس ذلك فقط، بل رفقة أيضاً وهي حبلى من واحد وهو إسحق أبونا. لأنه وهما لم يولدا بعد ولا فعلاً خيراً أو شراً، لكي يثبت قصد الله حسب الاختيار ليس من الأعمال بل من الذي يدعو. قيل لها أن الكبير يُستعبد للصغير. وكما هو مكتوب: أحببت يعقوب وأبغضت عيسو" [7 - 13]

- هنا يقدم إسحق مثلاً للنبوة لإبراهيم، فإنه وإن كان ابناً حقيقياً له، لكنه لم يولد حسب قوة الجسد أو حسب ناموس الطبيعة، إذ كان الأب شيخاً والأم عاقراً، وإنما مولوداً حسب قوة الوعد الإلهي.

- إذاً فنسل إبراهيم هم الذين ينعمون بالولادة لا حسب الجسد، وإنما حسب الإيمان والتمسك بوعد الله روحياً.

الرسالة إلى أهل رومية

- إن قال اليهود إن الكلمات: "إسحق يُدعى لك نسل" تفهم بأن كل من يولد من إسحق بالضرورة يحسب نسله، بهذا يكون بنو آدم أبناءه، لأن أباهم عيسو (آدم) هو أيضاً ابنه.

- هكذا ترون أنه ليس كل أولاد الجسد هم أولاد الله، هكذا سبق فأخبر بطريقة ما عن تجديد الميلاد الذي من فوق بواسطة المعمودية.

- فالوعد بنسل إسحق يُشير إلى الوعد للمولودين في المعمودية ميلاداً ليس حسب الطبيعة أو الجسد.

- إذن وعد الله قائم وكلمته لم تسقط بل قائمة وفعالة، وإسحق لا يزال يُولد حتى اليوم كما من سارة التي لا تحمل قوة الولادة بالطبيعة إنما بالوعد الإلهي، إذ لا يزال شعب الله يقوم خلال رحم الكنيسة الذي هو المعمودية، حيث يُولد إسحق على الدوام لا خلال الجسد، ولا بهوى إنسان وإنما بالروح القدس بقوة الكلمة.

الرسالة إلى أهل رومية

- لم يقف القديس بولس عند تقديم مثل واحد لتحقيق وعد الله بطريقة روحية لا حرفية جامدة، وإنما قدم مثلاً آخر خلال اختيار الله ليعقوب دون عيسو، وهما في أحشاء رفقة.
- كانا توأمين في بطن واحدة، ومع ذلك لم يكن لهما نصيب واحد. فمن جهة الجسد لا يختلف يعقوب عن عيسو في شيء بل يمتاز عيسو بأنه البكر جسدياً. ومع ذلك "الكبير يُستعبد للصغير".
- بمعنى آخر إن كان اليهود يمثلون "الكبير" إذ سبقوا الأمم في معرفة الله، لكنهم إذ يحدونه بينما يقبل الأمم الإيمان، يتحرر الأمم من العبودية ويسقط اليهود فيها.
- فلو النبوة تقوم على الميلاد الجسدي وحده لإستحقّ عيسو أن ينعم بما ناله يعقوب، فالاختيار تمّ بناء على سبق معرفة الله، إذ يعلم من هو صالح ومن هو ليس بصالح "لأن ليس عند الله محاباة" [11].

الرسالة إلى أهل رومية

- "فماذا نقول؟ أعلّ عند الله ظلماً؟ حاشا. لأنه يقول لموسى: إني أرحم من أرحم، وأترأف على من أترأف" [14 - 15]
- كأن اعتراضاً قد أثير بقوله إن الله أحب يعقوب وأبغض عيسو وهما بعد في البطن لم يعملوا خيراً أو شراً، ألا وهو: أعلّ عند الله ظلماً؟ وتأتي الإجابة قاطعة: حاشا! ويؤكد هذه الإجابة بكلام الله مع موسى الذي طلب أن يتمتع بالمجد الإلهي فقال له "إني أرحم من أرحم، وأترأف على من أترأف" أي أنه ليس لك أن تعرف من هو مستحق لحبي نحو الإنسان، إنما أترك هذا لي.
- فإن كان ليس من حق موسى أن يعرف فكم يكون الأمر بالنسبة لنا؟
- نلاحظ أن الله لم يقل: "أرحم من أرحم، وأهلك من أهلك"، مظهراً سلطانه الإلهي في الحب والرحمة والرأفة بالإنسان، إذ لا يودّ هلاك الخاطئ مثل أن يرجع ويحيا، أنه يادر بحب يعقوب من جانبه لعلمه بقلب يعقوب المحب أما بغضة عيسو فجاءت ثمراً طبيعياً لحدود عيسو نفسه وإصراره وعناده على عدم قبول مراحم الله. الله حب، لكنه لا يلزم الغير بقبوله.

الرسالة إلى أهل رومية

"فإذاً ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى، بل لله الذي يرحم" [16]

- سؤال: هل يتنافى هذا مع الوصيّة: "تمّموا خلاصكم بخوف ورعدة" (فيلبي 2: 12) وما شابهها؟ إن كانت رحمة الله ليست لمن يشاء ولا لمن يسعى، فلماذا يقدم لنا الله وصاياه، ويطلب منا أن نقبله بإرادتنا الحرة ومشيئتنا الاختيارية؟ ولماذا يحثنا في العهدين القديم والجديد على الجهاد حتى النهاية، قائلاً: "الذي يصبر إلى المنتهي فهذا يخلص" (متى 10: 22، 24: 13؛ مرقس 13: 13)؟

- الإجابة: أنه لا يتحدّث هنا عن إرادة الإنسان هل هي حرة أم لا، إنما يتحدّث عن قبول الأمم وعن خطّة الله نحو خلاص العالم كله.
- الله الذي سبق فاختر إسرائيل شعباً له كخميرة لتقديس العالم بمجيء المخلص حسب الجسد منهم، من حقّه أن يرحم من يرحم ويتراءف على من يتراءف، بفتح باب الرجاء للأمم، دون أن تقف الجبلّة الضعيفة لتحاكمه.

الرسالة إلى أهل رومية

"لأنه يقول الكتاب لفرعون إني لهذا بعينه أقمتك لكي أظهر فيك قوتي، ولكي ينادي باسمي في كل الأرض. فإذاً هو يرحم من يشاء ويقسي من يشاء. فستقول لي: لماذا يلوم بعد؟ لأن من يقاوم مشيئته! بل من أنت أيها الإنسان الذي تجاوب الله؟ أعل الجبلّة تقول لجابلها: لماذا صنعتني هكذا؟ أم ليس للخراف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناءً للكرامة وآخر للهوان؟ فماذا إن كان الله وهو يريد أن يظهر غضبه ويبين قوته احتمال بأناة كثيرة آنية غضب مهياة للهلاك؟ ولكي يبين غنى مجده على آنية رحمة قد سبق فأعدها للمجد. التي أيضاً دعانا نحن إياها ليس من اليهود فقط، بل من الأمم أيضاً" [17-24]

- هنا يذكرهم بأنهم كانوا يقبلون رحمة الله لهم وسقوط فرعون تحت قسوته دون اعتراض من جانبهم (من خلال الضربات. أذكر أن فرعون كان قاسياً بطبيعته)، فلماذا يعترضون عندما يفتح باب رحمته لغيرهم؟

الرسالة إلى أهل رومية

- إذا فإنه لا يتجاهل حرية الإنسان، إنما يؤكد دور الله في خلاصنا؛
الذي يعمل فينا لا عن استحقاق من جانبنا، وإنما عن حبه وفيض
رحمته كنعمة مجانية.

- بهذا يظهر أن نعمة الله ورحمته تعملان دوماً لأجل خيرنا، فإذا
تركنا نعمة الله لا تنفع كل الجهود العاملة شيئاً؛ مهما جاهد
الإنسان بكل نشاط لا يقدر أن يصل إلى حالته الأولى بغير معونة
الله:

"أنا الكرامة وأنتم الأغصان. الذي يثبت فيّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر
كبير، لأنكم بدوني لا تقدرين أن تفعلوا شيئاً" (يوحنا 15: 5)
"إن لم يبن الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون، وإن لم يحرس
الرب المدينة فباطلاً يسهر الحراس" (مزمور 127: 1 - 2)

الرسالة إلى أهل رومية

- يعتبر هذا الحديث خطوة تمهيدية للسامع لكي يلين روحه
المتعجرفة التي تنتقد خطة الله نحو خلاص الأمم، فقبل أن يكشف
سرّ خطة الله أراد أن يؤكد للسامع أنه ليس من حقه أن يقف
هكذا موقف الناقد أو الديان لله.

- وكأنه يقول: عملنا هو أن نخضع لما يفعله الله لا أن نكون
متطفلين محبين للاستطلاع حتى وإن كنا لا نعرف حكمة
تصرفاته.

- لذلك قال: "من أنت الذي تجاوب (ضد) الله؟" من أنت؟ هل
أنت شريكه في سلطانه (أيوب 38)؟ بل! هل تجلس لتدين الله؟
- أنظر كيف يربعهم ويخيفهم فيجعلهم في رعدة عوض تساؤلهم
وتطفلهم.

الرسالة إلى أهل رومية

- يقف غير المؤمن من الله موقف الناقد لكل تصرف إلهي، أما الإنسان التقي فيقول مع إرميا النبي:

"أبَرَّ أَنْتَ يَا رَبُّ مِنْ أَنْ أَحْصِمَكَ، لَكِنْ أَكَلَمَكَ مِنْ جِهَةِ أَحْكَامِكَ: لِمَاذَا تَتَجَحَّ طَرِيقَ الْأَشْرَارِ؟" (ارميا 12: 1)

- يفرح الله ويسرّ بأولاده مشتاقاً أن يدخلوا معه في حوار، لكنه على أساس إيماني تقوي، حديث الابن الذي يتكى على صدر أبيه لينهل منه أسرار أحكامه، ويتمتع بحكمته العلوية حتى وإن عاتبه أو حاججه. أما إن أخذ موقف الناقد العنيد، كما فعل بعض الفعلة مع صاحب الكرم حين أظهر الأخير كرمه ومحبته، إذ قال للمتذمرين:

"يا صاحب ما ظلمتك... فخذ الذي لك واذهب، فإني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك، أو ما يحل لي أن أفعل ما أريد بمالي؟" (متي 20: 1-16)

- يوجه الرب نفسه هذا التوبيخ لليهود الذين يرفضون رحمة الله على الأمم متذمرين على إحساناته باخوتهم في البشرية.

الرسالة إلى أهل رومية

"فإذاً هو يرحم من يشاء، ويقسى من يشاء" [18]

- لتأخذ علي سبيل المثال موسى وفرعون؟ الله يعلم قلب موسى واشتياقه فسنده بنعمته ليتمجد فيه خلال الرحمة، أما بالنسبة لفرعون فكان قلبه قاسياً (خروج 8: 15، 32؛ 9: 34؛ 10: 20، 27)، وإنما ما فعله الله أنه لم ينزع هذه القسوة عنه قسراً، إنما رفع يده عنه فبقي فرعون في قسوة قلبه، أو بمعنى آخر سمح له أن يمارس عنفه ضد شعب الله ليتمجد الله حتى في هذا العنف الشرير.

- الله الذي سند موسى بالرحمة لم يمنع فرعون عما يكنه قلبه الشرير، فيكمل موسى كأس مجده ويكمل فرعون كأس شره، والله يتمجد بهذا وذلك.

- اقتبس القديس بولس من العهد القديم أيضاً، الذي يقدره اليهود، مثال الفخاري (ارميا 18: 1-10) ليؤكد به أن الإنسان في علاقته بالله كالطين في يد الخزاف، وكالجبلة في يدي جابلها، ليس له أن يعترض على تصرفات الله وحكمته، بل يكف عن المجادلة والتساؤلات.

الرسالة إلى أهل رومية

- عندما يقول: "أم ليس للخراف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وآخر للهوان؟" [21]، لا يقصد أن الخليقة مجبرة بلا حرية إرادة، إنما يقصد إظهار السلطان وتدابير الله المتنوعة. فإن فسّرناه بغير هذا ندخل في أخطاء متنوعة، فلو أنه كان يتحدث هنا عن الإرادة، وأنه هو خالق الإرادة الصالحة والإرادة الشريرة لأعفى الإنسان من المسؤولية، ويظهر بولس نفسه مناقضاً نفسه، إذا يُقدم على الدوام تقديراً عظيماً لحرية الإرادة.

- عندما يقول: "فماذا إن كان الله وهو يريد أن يظهر غضبه ويبين قوة احتمل بأناة كثيرة آنية غضب مهياً للهلاك" [22]، يقصد أن الله يحتمل الأشرار زماناً ولا يعاقبهم فوراً بالرغم من تجديفاتهم ومقاومتهم لعمله.

الرسالة إلى أهل رومية

- كان فرعون آنية غضب، أي كان إنساناً قد ألهب غضب الله بقسوة قلبه. فبعدما تمتع بطول أناة كثيرة (من جهة الله نحوه) بقي بدون إصلاح، لهذا لم يدعه: "آنية غضب" فحسب وإنما أيضاً: "مهياً للهلاك"، بمعنى أنه هياً نفسه بنفسه للهلاك التام.

- عندما يقول: "ولكي يبين غنى مجده على آنية رحمة قد سبق فأعدها للمجد" [23]، لا يعني أن كل شيء هو عمل الله وحده، لأنه لو كان الأمر كذلك لما وُجد ما يمنع من خلاص كل البشر. - فإن كان فرعون قد صار آنية غضب بسبب قسوته، فإن اليهود قد صاروا آنية رحمة باستعدادهم للطاعة. وإن كان الجانب الأعظم للعمل هو من قبل الله، لكنهم ساهموا بالقليل، ومع ذلك لم يقل أنها: "آنية العمل الصالح"، بل "آنية رحمة" ليظهر أن الله هو الكل.

الرسالة إلى أهل رومية

- إذ أبرز أنه ليس من حقهم نقد خطة الله بسبب عجزهم عن إدراك حكمته الإلهية كما ينبغي، مظهراً حق الله في اختيار الأمم كما سبق فاختر اليهود، لا يغلّق الباب عن كل يهودي إنما عن الشعب اليهودي ككل، كما لا يعني انفتاح الباب للأمم خلاص كل أممي، إذ يقول: "التي أيضاً دعانا نحن إياها ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضاً" [24].
- إذ سبق فقدم ردوداً على انتقاد اليهود لفتح باب الدعوة للأمم دون أن يجرح مشاعرهم، ختم حديثه بتقديم الدلائل من الأنبياء أنفسهم، فاختر بعض العبارات التي تعلن تعثر اليهود في الإيمان وقبول الأمم له:

"كما يقول في هوشع أيضاً: سأدعو الذي ليس شعبي شعبي، والتي ليست محبوبة محبوبة. ويكون في الموضع الذي قيل لهم فيه لستم شعبي أنه هناك يدعون أبناء الله الحيّ" [25-26]

الرسالة إلى أهل رومية

- اقتبس هذه العبارات من هوشع:
"وازرعها لنفسي في الارض وارحم لورحامة وأقول للوعمي أنت شعبي وهو يقول أنت إلهي" (هوشع 2: 23)
- هنا يقدم هوشع النبي شاهداً لأقواله إن الأمم الذين كانوا ليسوا شعب الله ولا محبوبين لديه خارج المقدرات صاروا شعب الله والمحبوبين لديه وأبناءه. كأن ما يتم في العصر الرسولي ليس بالأمر الغريب، إذ سبق فأعلنه الله لأنبيائه ليمهدوا لتحقيق خطته الإلهية من جهة خلاص الأمم والشعوب.
- دعا هوشع النبي أسماء أولاده لورحامة "ليس لهم رحمة"، ولوعمي "ليس شعبي" (هوشع 1)، حتى أنه كما يقول القديس بولس "سأدعو الذي ليس شعبي شعبي، والتي ليست محبوبة (بلا رحمة) محبوبة، ويكون في الموضع الذي قيل فيه لستم شعبي أنه هناك يدعون أبناء الله الحيّ".
- فما حدث كرمز خلال أعمال هوشع يؤكد القديس بولس أنه يتم حقاً بالسيد المسيح في الكنيسة.

الرسالة إلى أهل رومية

"وأشعيا يصرخ من جهة إسرائيل، وإن كان عدد بني إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص، لأنه متم أمر وقاض بالبر، لأن الرب يصنع أمراً مقضياً به على الأرض" [27 - 28]

- لم يكتفِ الرسول بهوشع بل قدم إشعيا النبي الذي جاء في نبوته عن المسيبين، إذ كانوا كثيرين جداً بالنسبة للقلة القليلة التي تنجو من الأسر. وقد سمح الله بذلك بل وقضى بهذا التأديب لأجل البر:

"لأنه وإن كان شعبك يا إسرائيل كرمل البحر، ترجع بقية منه قد قضى بفناء فائض بالعدل. لأن السيد رب الجنود يصنع فناء وقضاء في كل الأرض" (أشعيا 10: 22 - 23)

- طبق القديس بولس هذه النبوة بصورة أشمل على العصر المسيحي حيث يؤسر عدد كبير جداً من اليهود تحت الجحود رافضين الإيمان المسيحي، وقتلون هم الذين يخلصون بقبولهم المسيح المخلص، وقد سمح الله بذلك لأجل البر، ليفتح الباب للأمم.

الرسالة إلى أهل رومية

- إنه يعني: أنا لا أهتم بالجمع (بالعدد الضخم)، ولا أتأثر بالجنس (اليهود) وإنما أخلص من يتقدمون كمستحقين للخلاص. أنه لم يذكر "كرمل البحر" بلا سبب. إنما يذكرهم بالوعد القديم أنه يجعل نسلهم كرمل البحر (تكوين 22: 17؛ 32: 12) الذي جعلوا أنفسهم غير أهل له.

- لماذا ترتبكون إذن إن كان الوعد لا يتحقق (للكل) إذ أظهر كل الأنبياء أنه ليس الجميع يخلصون؟ عندئذ يظهر القديس بولس أيضاً طريق الخلاص:

"لأنه متم أمر وقاض (بسرعة) بالبر، لأن الرب يصنع أمراً مقضياً به (سريعاً) على الأرض" [28]

- هذا الأمر هو الإيمان الذي يحمل خلاصاً في كلمات قليلة: "لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت" (رومية 10: 9). ها أنتم ترون أن الرب متم كلمة قليلة على الأرض، والعجيب أن هذه الكلمة القليلة لا تحمل خلاصاً فحسب بل وبراً.

الرسالة إلى أهل رومية

"وكما سبق أشعيا فقال: لولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلًا لصرنا

مثل سدوم وشابها عمورة" [29]

- إن كان إسرائيل قد انغمس في أعمال الناموس الحرفية وشكليات العبادة لكن الرب في ملء الزمان صنع أمرًا مقضيًا به أو أمرًا عاجلاً، مركزاً حول الإيمان بالمخلص، الذي ينقذ المؤمنين به وإن كانوا قلة من اليهود. هذه القلة تنبأ عنها أشعيا أيضاً:

"لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية صغيرة لصرنا مثل سدوم وشابها

عمورة" (أشعيا 1: 9)

- كأن ما حدث في العصر الرسولي سبق فحدث في عصر أشعيا، إذ قليلون هم الذين عاشوا في الإيمان فخلصوا من الهلاك، بدونهم تعرض إسرائيل كله للإبادة بالنار كما حدث لسدوم وعمورة (تكوين 19).

الرسالة إلى أهل رومية

"فماذا نقول؟ إن الأمم الذين لم يسعوا في إثر البرّ، أدركوا البرّ، البرّ الذي بالإيمان. ولكن إسرائيل وهو يسعى في أثر ناموس البرّ لم يدرك ناموس البرّ. لماذا؟ لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان، بل كأنه بأعمال الناموس، فإنهم اصطدموا بحجر الصدمة. كما هو

مكتوب: ها أنا أضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة وكل

من يؤمن به لا يخزي" [30 - 33]

- هذه هي النتيجة النهائية أن الأمم الذين لم ينالوا المواعيد، ولا استلموا الشريعة ولم تكن لهم معرفة إلهية قبل الكرازة بالإنجيل لم يسعوا في إثر البرّ، ولكن إذ جاءتهم الكرازة أدركوا البرّ الذي حسب الإيمان بالمسيح يسوع.

الرسالة إلى أهل رومية

- أما إسرائيل الذي له ميزات كثيرة فإذ سعى في إثر ناموس البرّ لكن خلال حرفية أعمال الناموس دون روحها، فقدوا الإيمان، واصطدموا بالسيد المسيح "حجر الصدمة"، وتحقق فيهم القول النبوي:

"ويكون مقدساً وحجر الصدمة وصخرة عثرة لبיתי إسرائيل،
وفخاً وشركاً لسكان أورشليم" (أشعيا 8: 14)

- كما تحقق في الأمم القابلين للإيمان:
"هأنذا أوّسس في صهيون حجراً، حجر امتحان، حجر زاوية
كريماً، أساساً مؤسساً، من آمن لا يهرب" (أشعيا 28: 16)

